وقفت بالحمراء مستعبراً معتبراً أندب اشتاتا
فقلت ياحمراء هل رجعة قالت وهل يرجع من ماتا
فلم أزل ابكي على رسمها هيهات يغني الدمع هيهاتا

.....

وانها لكذلك، اذ سمعت الصياد يصيح مشيراً الى مشانق رآها تنصب في احدى الساحات : « لمن المشانق يا ترى ؟ » . فامتلأ قلب بنت الفجر رعبةً ، فقالت للأمير : « بحب الله ياسيدي ! قل لي، من الضحية ؟فان نفسي تناجيني بما يزجني في لجة اليأس المهلك ». فدعا الامير أحد الحراس الواقفين على باب القصر وسأله عن ذلك همساً . فأجابه الحارس : « ان الأمر العالي قد صدر باعدام الراشد وبعض اعوانه » .فامتقع لون الأمير ! وكانت بنت الفجر كلها اذاناً صاغية وعيوناً ناظرة ، فسمعت لفظة اسم الراشد ، ولحظت هلع الامير ، فكان هذا الخبر صاعقة هائلة انقضت على قلبها ، فصاحت بصوت مرعب ارتجت له قلوب السامعين : « لن يشنق الراشد وبنت الفجر حية ! ... ادخلوني على الملكة فان في نفسي من الجراءة مايقدرني على الغاء الحكم الجائر ! »

(لها تلو)

حياتنا الاقتصادية

بقلم السيدة سلمى صائغ (١)

ومي الكاتبة السورية البارعة التي جمع جرجي نقولا باز قسماً من خطبها ومقالاتها في كتاب نفيس ، سماه بالنسمات ، يظهر قدرتها الفكرية ، وسلطتها الكلامية

— ١ —

يحكم عالمنا الاجتماعي على المرأة بعدم التعرض لما لا يعنيها والاقتصار على ما يعنيها . وهو يحكم حكمه هذا بداهةً دون تروٍ ولا امعان . فاذا سألنا بعضهم ان يحدد لنا هذا « الذي يعني والذي لا يعني » لما قدروا ان يحصروا نظريتهم ضمن نظام شامل عام . والحقيقة ان مداخلة المرأة في امور المجتمع امر لا يمكن تحديده . فهو نسبي على الاطلاق

حتم المجتمع على نساء المزارعين ان يفلحن الارض ويزرعنها ويحصدنها ،

(١) تبين محررة هذا المقال البليغ انحطاط الحياة الاقتصادية في سوريا .فماذا يجب ان يقال عن بلادنا المسكينة ؟ (ليلى)

وان يقطعن ، الخشب وينشرنه ويحملنه من الجبال البعيدة الى المدن والقرى ، وان يسقن قطعان الماشية الى مسافة بعيدة لورود الماء والمرعى . ولم يقل العالم الاجتماعي في هذه الاحوال ان بشرة النساء الطريفة لاتحتمل اشعة الشمس وان ايديهن الناعمة لاتقوى على رفع الفأس

كذلك تبعت نساء الغزاة رجالهن الى ساحات القتال لطبخ الطعام وجلب الماء وشحذ السلاح . وتاريخ الغزوات القديمة ملآن باخبار النساء اللواتي ماقيل لهن مرة : « ابقين في الحي فبنيتكن النحيفة لاقبل لها بالاسفار المضنكة »

وهكذا نرى النساء في المجتمع كله خاضعات — ككل الكائنات الحية — لاحكام الظروف . فامرأة الجندي تشحذ سلاحه ، وامرأة الفلاح تغرس كرمه ، وابنة الراعي تجوب البراري اماءها سائقة مئات الانعام

حدثني اديب عن سياحة له في نواحي الاردن قال :

« رأيت مرة في صحراء خاوية مقفرة فتاة في الخامسة عشرة من العمر تسوق مئات من النوق . فكانت على ظهر ناقتها كاحد كبار الفرسان بقوام منتصب كالرمح ووجه عزيز فخور

اما ثوبها فكان شبه قميص مفتوح من العنق الى الصدر ينم عن

تكوين لم تر العين ابدع منه . فعجبت من وجود الفتاة منفردة في قلب تلك البادية واقتربت منها اطارحها السلام واسائلها عن حالها فكانت تجيبني بحرية ولطف ورقة وكياسة لم ارها في امرأة غربية او شرقية »

وما يقال عن نساء البداوة يقال عن نساء الحضارة . فنساء الطبقة الفقيرة في بلادنا قد زاولن منذ زمان ، المهن الاولية — ولا اقول المهن الحقيرة فليس من عمل حقير على الارض — كالخياطة والكي والرضاعة والخدمة في البيوت ، ثم نزلت نساء الطبقة المتوسطة الى ميدان العمل فكان منهن المعلمات ثم الممرضات وبعض الطبيبات ولا تزال دائرة العمل تتسع امام من تضيق بوجههن اقتصاديات الحياة فلا يمر علينا عشر من السنين الا ونرى النساء الوطنيات مهتمات بمسائل الاقتصاد مقتنعات ان الحرية الاقتصادية هي ام كل حرية بشرية

نرى مما تقدم ان حكم العالم الاجتماعي على المرأة وحصره اياها ضمن دوائر ضيقة ليس من الشرائع التي لا تزول قبل ان تزول الارض والسماء . فحالة المرأة خاضعة دائماً وابداً لحالة الاقليم ، ولحالة المحيط ، ولحالة الظروف ؛ اي انها نسبية في كل زمان ومكان ، تابعة لناموس التطور ككل التقاليد ، وكل الشرائع التي اتبعها الانسان

منذ وجد الى اليوم . وليس لكائن ان يقول « هـذا يعني المرأة وذاك لا يعنيها » اذ كل ما يهم الامة يهم المرأة

فكل الابحاث التي يطرقها الرجل معتقداً ان الوقوف عليها يفيده ويفيد الامة يمكن للمرأة ان تطلع عليها وتدرس جزئياتها وتلقنها لاولادها وتباحث بها صديقاتها

ان العراك الناشب اليوم في العالم هو عراك اقتصادي ، والامم تدافع عن اقتصادياتها — رجالاً ونساءً — بشدة تشابه الكلب ، فلا ندري لماذا تبقى المرأة عندنا بمعزل عما يجري حولها ، ولماذا ينفرد نصف الامة في هذا العراك بينما يقف النصف الاخر متفرجاً ، وهو قادر ان يؤدي مساعدة كبرى لذلك النصف الذي يناضل وحده في ازمة تقصم الظهور وتقضي على الانفس

اقول هذا ناظرة الى الوجهة المادية من هذه المسالة التي لها وجهة ادبية لايجب اغفالها . ان باطلاع الرجل وحده على معلومات نافعة واحتفاظه بها لنفسه ظلماً للولد عميماً

اقول ان الرجل الذي يحتكر المعلومات لنفسه — ان كانت هذه المعلومات نظرية اوعملية — يمنعها عن ولده شاء اولم يشأ . ان حاضنة الولد ومهذبته ومرشدته ورفيقته هي المرأة اولاً والمرأة آخراً . فلو سألنا كل رجل من رجال عصرنا عالماً كان ، اوتاجراً ،

او لغوياً ، كيف تعلمت ما تعلمه لاجاب فوراً :

« لقد تعلمت على حسابي »

ان لرجالنا الذين يتعلمون على حساب نفوسهم فضلاً كبيراً لو ندري ؛ لانهم يبدأون حياتهم كما بدأها جدنا الاول ، وعندما يصلون الى زمن العمل يرون المسافة التي قطعها الغربي فينشطون للحاق به ، وكم من زلة ، بل كم من كبوة وهفوة يلاقون الى ان يصلوا — وغالباً لا يصلون قبل الخمسين — الى حيث وصل ابناء الغرب . فهم يختبرون ، في مدة ثلاثين سنة ، ما اختبره الغربيون في اجيال ، على انهم ينسون جهادهم الطويل ويتركون اولادهم يتخبطون في مثل ما تخبطوا هم به ، وبكلمة اخرى يتركونهم « يتعلمون على حسابهم »

وانها لهفوة كبيرة يعرف مقدار ضررها كل من تعلم على حساب نفسه . علينا ان نسلم لاولادنا اختباراتنا ومعلوماتنا ، اعني على اولادنا ان يأخذوا عنا خلاصة ابحاثنا طول العمر فيبدأون حيث انتهينا لاحيث بدأ رعمسيس ؛ ويكون جهادهم في الحياة خفيفاً ، لذيذاً منظماً ، لامضنكاً ، قاتلاً . وليس من يعد الولد للعراك في الحياة مثل امه . فكيف تعده هذه الام للحاق بابيه اذا كان بين رقيها ورقي زوجها بون هو نتيجة اختباره ثلاثين سنة ونتيجة حصرها

في دائرة صغيرة من التافهات تعرفها الانعام بالسليقة

ولقد بدأنا نشعر بحاجة الى الامور الجدية كما اصبحنا نمل من الابحاث النسائية الضاربة دائماً وابداً على انغام الخيال ووصف الطبيعة وواجبات المرأة ، التي سمعناها الوفاً من المرات ، وكدنا نكره من اجلها الخيال ، والطبيعة ، حتى والمرأة

.....

— ٢ —

هل رأيتم مرةً حديث نعمة يقلد الاغنياء والامراء ؟ هل نظرتموه مرتجفاً مرتبكاً غريباً في قصره وبين ضيوفه حتى وفي ثيابه ؟ فكما يلقب من ينام فقيراً ويصبح غنياً « حديث النعمة » يلقب من يدفع بغتةً من ظلمة القرون الوسطى الى نور العلم العصري « حديث العلم » و « حديث التمدن » و « حديث الرقي »

ان كل ما نأتيه يجيء ناقصاً ، متقلقلاً ، مرتجفاً . ذلك لاننا حديثو العهد في المدنية الغربية التي طمى سيلها علينا فاضطررنا الى قبولها دون استعداد. نحن حديثو العهد في هذه المدنية ، وحداثة عهدنا تظهر في كل مظهر من مظاهر حياتنا. في حياتنا السياسية ، وحياتنا العلمية ، وحياتنا الفنية . وقبل كل شيء نحن حديثو العهد في حياتنا الاقتصادية ؛ والبلاء العميم هو ان مجموعنا يجهل ذلك ،

فهو اذا تألم من الانحطاط الملم بنا يحول وجهه شطر الحياة السياسية ناسياً ان الحرية الاقتصادية هي الاصل وما بقي فهو الفرع

لوكان لنا حياة اقتصادية لوقفنا بنفوذنا امام العالم المتمدن وقلنا نريد اولا نريد . لوكان لنا كيان اقتصادي لكان لنا كيان سياسي . ولو كان لنا كيان سياسي لما قضينا كل هذه القرون ونحن جسر يمر عليه الفاتحون ذهاباً وايابا

قلت جسراً لا وربي ! الجسر شيء قوي يتعهده من يمر عليه بالعناية حتى لا ينكسر بعد مروره فينقطع عليه خط الرجوع ! نحن طنفسة « والتعبير مؤلم » على باب هذا الشرق ، داستنا منذ القدم اقدام الغزاة والفاتحين والمتاجرين ! نحن لم نفهم مرة معنى الحياة ومعنى الكيان فعشنا حياة شخصية فردية لا يهم الفرد منا اذا عاشت الامة اوماتت. نعم اننا عشنا كتجار مستقلين تنحصر حياتهم في صندوقهم فكانت هذه العلامة من ادلة انحطاطنا . واي انحطاط اكبر من فقد التضامن والتكافل بين ابناء البلد الواحد

ان لهذا الانحطاط اسباباً لن اتوسع في البحث فيها كي لا اتعدى دائرة بحثي . على ان اكبرها هو كوننا عشنا في بلادنا غرباء لا نشعر بالوطنية ولا بالقومية . فكيف يسأل من لا عقار له عن تعهد عقاره ؟ اما نتائج انحطاطنا فواضحة عم بلاؤها سوريا ولبنان ...

في الحرب وبعد الحرب فرأى العالم مبلغ فهمنا للحياة ومبلغ تقديرنا للقومية وللحياة القومية

ان حريتنا الاقتصادية هي الأس الذي تبنى عليه بناية الوطن. فاين المشتغلون في هذه البناء! اين الدوائر الاقتصادية تأتينا بالاحصاآت عن حركة الصادر والوارد ؟ اين هذه الدوائر تظهر لمجموعنا بالارقام ؟ ان البلاد التي تصدر الى الخارج « ١ » وتستورد « ٦ » مصيرها الخراب .....

وبما اننا ما شعرنا الى اليوم بضرورة دخول التجارة من ابوابها فنحن لم نزل اطفالاً فيها

سيقول بعضهم ما هذا الادعاء ؟ الا يوجد عندنا تجار ؟ وفلان وفلان وفلان ؟ من اين جمعوا هذه الثروة

جوابي على هذا ان التاجر الذي يشتغل لنفسه ليس بتاجر

التاجر الحقيقي ، الذى يشتغل لنفسه وللامة . التاجر الحقيقي، يحسب ان الذي لا ينبع يفرغ وان الامة التي تدفع لاوربا ـ مثلاً ـ ستة ملايين وتقبض منها مليوناً واحداً ستفلس بعد سنين معدودة. وما ربح التجار المعدودين المشتغلين ببيع البضائع الاوربية الا كربح القرد الذي كان يلحس المبرد متوهماً ان فيه الحياة وهو بالحقيقة لم يكن يلحس الا دماء قلبه لها تلو

ملاحظات جديدة في الفروق

الكائنة بين نفسية الفتيان و نفسية الفتيات

ان هذه الفروق قد فتحت المجال ، منذ زمن مديد ، لظهور نظريات عديدة دخل في مناقشتها الروائيون والعلماء في مواقف كثيرة . اما قياس تلك الفروق وتقديرها بالاختبارات الدقيقة والبينات الساطعة فهما من اختصاص علماء النفس والطبيعة العصريين. وها انهم قاموا يبينون ، باساليب حديثة ، ضلال بعض الاراء القديمة في هذا الخصوص ويفندون الاقاويل البالية ويبسطون الحقيقة كما هي :

ان فروق الحس والشعور بين الجنسين عظيمة . فان منشأ الحس عند المرأة اقوى منه عند الرجل وهذا ليس فقط في ما يختص باللمس ولكن في ما يختص بالذوق والشم ايضاً . واما حاستا النظر والسمع فهما عند الرجل اقوى. ومن هنا يمكننا القول ان النساء اشد شعوراً بكل ما يتعلق بالحس المحض ، فيما ان الرجال اقوى شعوراً بما يتعلق مباشرةً بالحكم والتمييز مثلاً تقدير الاوزان وقياس الأبعاد وغير ذلك. وعند الرجال تفوق ظاهر في ما يختص بسرعة الحركات ودقتها

واذا طبقنا هذه الملاحظات على الاحداث والشبان رأينا انه في سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة ، تتفوق البنات على البنين